المنصورية آخر العواصم الفاطمية في المغرب العربي
من خلال كتاب سيرة الاستاذ جوذر

ليلى ستار هاشم

أ.م.د. مها عبدالله الشرقي

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة / قسم التاريخ

الملخص:

يتناول البحث المنصورية آخر عواصم الدولة الفاطمية في المغرب العربي ، إذ بناها الخليفة المنصور بالله (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) في موضع الوقعة التي انتصر فيها على المتمرد أبي يزيد بن كيداد وسماها المنصورية تخليداً لذلك الانتصار، ثم استوطنها ،وكان بناؤها سنة٣٣٧هـ/٩٤٨م، وقد بقيت هي العاصمة حين انتقال الفاطميين الى مصر سنة ٣٦١هـ/٩٧١م.

الكلمات المفتاحية : المنصورية ، المنصور بالله ، المغرب العربي، الدولة الفاطمية .

Al-Mansuriyah: The Last Fatimid Capital in the Arab Maghreb Through the Book " Sīrat al-ustādh Jūdhar

Layla Sattar Hashim

Asst. Prof. Dr. Maha Abdullah Al-Sharqi

University of Basra - College of Education for Human Sciences - Department of History

Abstract

The research discusses Al-Mansuriyah, the last capital of the Fatimid state in the Arab Maghreb. It was built by Caliph Al-Mansur Billah (334-341 AH / 945-952 AD) on the place of the battle where he defeated the rebel Abu Yazid ibn Kidad and named it Al-Mansuriyah in commemoration of that victory. He then settled there, and its construction was completed in 337 AH / 948 AD. It remained the capital until the Fatimids moved to Egypt in 361 AH / 971 AD.

***Keywords*: Al-Mansuriyah, Al-Mansur Billah, Arab Maghreb, Fatimid state.**

المقدمة

استطاع الفاطميون أن يكونوا دولتهم في المغرب الأسلامي بعد القضاء على الأغالبة(١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م) ، ولكن الخليفة المهدي(٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م) ، كان أول الأمر منشغلاً بتأسيس الدولة الجديدة ، فلم يتخذ عاصمة جديدة فكان مقر الحكم مدينة رقادة [١]، ثم تخلى عنها الخليفة المهدي، وعمل على اختيار عاصمة جديدة وهي المهدية[٢] لتكون عاصمة لحكم دولته بعد تخليه عن العاصمة الأولى رقادة ، وذلك لتأسيس عاصمة جديدة لترمز الى دولته الناشئة ، وقد تم للمهدية سنة ٣٠٨هـ/ ٩١٠م، ويعد بنائها من أهم الاعمال التي قام بها عبدالله المهدي، وقد تركت أثرها في مستقبل الدولة الفاطمية إلا أن هذه العاصمة قد أنتقل عنها حينما استطاع الخليفة المنصور بالله تحقيق النصر على الخارجي ابي يزيد بن كيداد[٣]،فكان بناء المنصورية سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م ، لتكون آخر عاصمة فاطمية في المغرب العربي .

وقد قسم البحث الى مقدمة وأربعة مباحث ، فكان الاول بعنوان موقعها وتسميتها ،أما الثاني فهو تخطيط المدينة وعمارتها ، بينما المبحث الثالث تناول المنصورية باعتبارها العاصمة الجديدة ، وجاء الرابع بعنوان مؤسسات الدولة في العاصمة الفاطمية ، ثم جاءت الخاتمة لتبين أهم ما توصل اليه البحث.

اولاً: الموقع والتسمية

تعد صبرة المدينة الكبيرة بالقيروان[٤] آخر عواصم الدولة الفاطمية في المغرب العربي ، حيث بناها الخليفة المنصور في موضع الوقعة التي انتصر فيها على أبي يزيد بن كيداد وسماها المنصورية واستوطنها [٥]،وكان بناءها سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م [٦].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ - المجلد ٤٩ - حزيران لسنة ٢٠٢٤

وقد ذكر أن صبرة مدينة قريبة من مدينة القيروان وتسمى المنصورية من بناء مناد بن بلكين ، سميت تيمناً بالمنصور بن يوسف بن زيري بن مناد، واسم يوسف بلكين الصنهاجي ، والمنصور هذا هو والد باديس والد المعز بن باديس ، وكانوا ملوك هذه النواحي ، ومات المنصور هذا سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، وقد ولي ملك تلك البلاد ثلاث عشرة سنة وشهورا [٧] ، وعلى ثلاثة أميال منها قصور رقادة ، وفيها يقول أبو علي بن رشيق[٨] .

أصاب القيروان وساكنيها * ودار الملك صبرة كل باس

فلا الدنيا التي بقيت بدنيا * ولا الناس الذين بقوا بناس[٩]

وقال ايضاً :

بنفسي من سكان صبرة واحد هو الناس والباقون بعد فضول

عزيز له نصفان : ذا في إزاره سمين ، وهذا في الوشاح نحيل

مدار كؤوس اللحظ منه مكحل ، ومقطف ورد الخد منه أسيل .[١٠]

ويذكر ان هناك محاولات في استبدال المهدية ان القائم أراد الانتقال من المهدية بعد وفاة المهدي وأراد ايجاد مدينة غيرها ، وأرسل فقيس له مواضع كثيره كلها أراد البناء فيها ، حتى ان المعز قال: فكأنه يرى ماحل بعد ذلك من الفتنة فنظر في المواضع التي تم قياسها ليبني فيها فوجد اللعين مخلدا قد أناخ فيها بعساكره ، ونزل المواضع التي تم قياسها بعينه ، ولذلك أخرجت القياسات فلم أجد موضعاً من حدود أفريقيا الا وقد نزل اللعين فيها ، ولذلك كره المهدية وأبغض المقام فيها كأنه كره ما يصير إليه أمرها من الحصار والضيق والمحنة وما يحل فيها من الفتنه[١١].

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

بينما يذكر عبدالحميد ان بناء المنصورية يعد أول أعمال المنصور بعد أعماله العسكرية ضد الزناتية ، حيث اتخذ مدينة ملكية جديدة تعبر عن طبيعة عهده ، الذي يمثل النصر والفتح الإيجابي على عكس المهدية التي مثلت في الفكر الشيعي الدفاع والصمود ، وان المنصور اختار موضع صبرة ، وهي الضاحية الجنوبية لتكون مقراً جديداً له ،وذلك عندما لاحت تباشير النصر على عدوه ابي يزيد الذي كان ينهزم إمامه في القيروان سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م وذلك ان الأوامر أصدرت بالبناء الذي عهد به الى مذاما الصقلبي[١٢] عقب الانتصار الحاسم على ابي يزيد في معركة المسماة (وقعة الجمعة) ١٤ محرم سنه ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م في نفس مكان معسكره استبشاراً بالنصر ،فأمر ببناء المنصورية [١٣] .

بينما يذكر صالح أن المنصور عمد إلى انشائها في مكان الوقعة العسكرية الفاصلة بينه وبين صاحب الحمار، وقد سميت صبرة لما أظهره الجيش الفاطمي من صبر وثبات في ساحات الحرب ، حتى تحقق للجيش الفاطمي النصر، ولهذا فأن بنائها تخليداً لهذا الانتصار العسكري الساحق الذي شتت فيه المنصور شمل الثائر ومزق صفوف جيشه ، وأخذ بعد ذلك يلاحق الجيش المنهزم ، وبهذا يتبين أن الغرض من بنائها كان يختلف عن الغرض من بناء المهدية، وهناك احتمال أن الخليفة المنصور رأى بعد المهدية عن القيروان، وأنه من سهل أبي يزيد الاستيلاء عليها ،وبالتالي وانضمام سكانها الى جانب ثورته الأمر الذي زاد من نجاح حركته، فضلاً عن ذلك فأن مدينة القيروان ذات ماض حضاري ولم يطمئن إلى الإقامة فيها وسط خصومه ، لذا فأنه فضل أن يبني صبره ليجعلها مقراً لدولته الجديدة حتى يقف بالمرصاد في وجه كل من يحاول التمرد عليه بمدينه القيروان والاستيلاء عليها [١٤].

في حين أن تامر يذكر أن المنصور رأى أن العاصمة لأي دولة يجب أن تكون بعيدة عن البحر لأنها تكون باي حال عرضة الى الأخطار التي تأتي من الأساطيل البحرية [١٥].

العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية

ثانياً : تخطيط المدينة

أمر المنصور سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م ببناء صبرة واختطها ، وسماها المنصورية[١٦] وكانت دار ملكه وملك من ملك بعده[١٧] ، وقد بني سورها بالطوب و لها خمسة أبواب : الباب القبلي والباب الشرقي وباب زويلة وباب كتامة ، وهو جوفي ، وباب الفتوح ومنه تخرج الجيوش ، للحروب ونصب عليها أبواب ملبسه بالحديد ولم يبن فيها غير ذلك حتى فرغ من أمر أبي يزيد[١٨] ، وكان فيها في مدة عمارتها ثلاثمائة حمام [١٩]، ويذكر أنه كان يدخل أحد أبوابها كل يوم ستة وعشرون ألف درهم .[٢٠]

كانت دار الملك وكان فيها أيام عمارتها ثلاث مائة حمام وأكثرها للديار وباقيها مبرز للناس كافة وصبرة الآن في وقتنا هذا خراب ليس بها ساكن وعلى ثلاثة أميال منها قصور رقادة[٢١] ، ثم بنيت بعد ذلك القصور الشامخة والأبنية الرفيعة وغرست فيها الغرس البديعة وجلبت إليها المياه المنيعة [٢٢]،وعمل فيها مصانع واحتفر آباراً عديدة [٢٣] .

وبنى قصر الخلافة وسمي بقصر (الهداية)، ثم خطط للمنتزهات والحدائق والشوارع والميادين ، كما تم بناء مسجد كان تابعاً للقصر ، وجلب الرخام من مدن الروم، وبعد ذلك قام بنقل الأسواق من القيروان الى المنصورية ،ولم تمر غير عامين حتى ازدهرت التجارة، فأنتقل إليها الأغنياء والتجار والصناع [٢٤].

ويبدو أن انتقال رجال الدولة اليها كان بالتدريج من المهدية الى المنصورية ، وهذا ما يؤكده الجوذري حين يذكر ان الاستاذ جوذر طلب حاجة من الخليفة المعز لدين الله وهو في المهدية ، فأمره الخليفة بإظهار المرض والتخفي عن الناس والقدوم الى المنصورية ليحصل على حاجته ثم

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

يمكنه الرجوع الى المهدية بعد ذلك بقوله: "فبعد يومين أو ثلاثة إن أمكنك أن تظهر أنك عليل، وتختفي عن الناس ، بعد أن تسكن وحشتهم منا ، ثم تنسل إلينا من حيث لا يعلم بك إلا من تثق به ، يكون نزولك عندنا، فتنال ما أملت ..."[٢٥].وبعد ان نفذ الاستاذ جوذر ما أمر به ، وبلغ ما اراد من حاجته ، وانصرف مسروراً الى المهدية ، فقد اقام فيها بعد ذلك حتى نقله المعز لدين الله الى المنصورية ، واسكنه عنده في دار الصناعة داخل قصر الخليفة ، في حين بقيت كتب موظفي الدولة المستقرين في المهدية تصل الى الخليفة في المنصورية ، والخليفة يكاتبهم بما يحتاجون ، واستمرت هذه الاوضاع الى حين انتقال الخليفة المعز الى مصر [٢٦].

بالرغم من أن المدينة لا تشتمل على الكثير من المرافق العديدة والمختلفة ، إلا أنها اشتملت على مرافق مهمة مثل الميناء والمرسى ودار الصناعة وبعض الحصون فقد كان بنائها كان أكثر دقة واتقاناً ، بالرغم من أن تعدد أبوابها فأنه يعتبر دليل على قلة حصانتها حيث يمكن الدخول اليها من جهات مختلفة على عكس مدينة المهدية[٢٧].

وقد ازداد العمران فيها في زمن الخليفة المعز، إذ بنى القصور، ومنها قصر الايوان [٢٨] الذي بناه لأبنه، ومجلس الكافور وحجرة التاج ، ومجلس الريحان وحجرة الفضة وقصر الخلافة والخورنق [٢٩] وقصور كثيرة اخرى ، ومصانع كثيرة [٣٠] .

ويذكر القاضي النعمان ما يدلل على العجائب التي هيأها الله للمعز في بناء بعض المرافق في المنصورية بقوله:" وذكر المعزّ لدين الله (صلى الله عليه) يوما بناء لبعض الأوّلين وما فيه من العجائب ، فذكر بعض من حضر ، بناء المعزّ(صلى الله عليه) وما هيّأه الله (عز وجل) من بناء النهر المعزّيّ وإجرائه في القناة العجيبة المرصوصة بالحجر والجيرة المبنيّة به العجيبة البناء مسيرة يوم ، ثمّ بناء القصر الشامخ العظيم البنيان بالحجر المنحوت المقطوع من الجبل، على بعد مسافته ، ولم يتهيّأ لأحد من ملوك الدنيا الذين ملكوا الموضع أن يضعوا فيه حجرا على حجر ، وبناء

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

الإيوان العجيب الشامخ وجرّ العمد الهائلة من مسيرة يوم إليه ورفعها ، بعد أن أجمع الناس على أنّه لو اجتمع أهل الأرض ما استطاعوا عمل ذلك منها .فحمد المعزّ(صلى الله عليه) الله على ما هيّأه له من ذلك ، وجدّد شكره ، ثمّ قال :والله ما أردنا بهذا علوّا ولا افتخارا ، وإنّا لعلى بصيرة ويقين واستعداد لمفارقة ذلك وتركه عمّا قليل كما ترك غيرنا مثله ، ولكن لمّا ملّكنا الله (عز وجل) وأعطانا ، أظهرنا نعمته"[٣١] ، اذن كانت المنصورية موضع عناية المعز بعد المنصور[٣٢].

ذكر أن الفاطميين تأثروا في بناءها بالهندسة المعمارية لحضارة ما بين النهرين وبالهندسة المعمارية الفارسية بدليل وجود اسم الخورنق بين أسماء قصورها (أسم فارسي معرب) وإذا ما صح هذا الرأي فأنه يدلنا على أن الفاطميين حاولوا الاستفادة من الحضارات الشرقية القديمة وهذا دليل على مدى ما تمتعوا به من الوعي والتفتح [٣٣] .

ثالثاً: الأنتقال الى المنصورية

وصل المنصور إلى قصره بالمنصورية في وقت صلاة العصر من يوم الخميس لليلة بقيت من جمادى الأخر سنه ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م [٣٤] ، وفي اليوم التالي من دخوله عاصمته الجديدة أمر بأن يخرجوا جلد اللعين أبي يزيد بن كيداد فطيف به ثلاث أيام متواليه ، وعليه الطرطور والقردان وهو على جمل راكب ورجل يمسكه من ورائه لكي لا يميل ثم بعد ذلك أمر بجثته ان تنصب على سور المهدية، وبقيت الجثة حتى نسفها الريح[٣٥] ، وهذا ما كان يفعل بأمثاله للانتقام منهم حتى سمي بعد ذلك بالسلاخ ، وقيل في ذلك الشعر ومنه:

يا خير من وهب العهود بعهده وحكى لنا بالعهد سيرة جده

عجبا لمعتوه حدثته نفسه بوساوس فيها شقاوة جده

عاداك وانسلخ الشقى من الهدى حتى أمرت بسلخه من جلده [٣٦]

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

استقر المنصور في قصره في شهر ربيع الأول سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م [٣٧] ومعه ولي عهده أبو تميم المعز وخواص دعاته وأوليائه وسائر أهله وولده فجعل المنصورية مسكناً وأقام بها، حتى وصف الداعي ادريس ذلك بقوله :" وقد انصلح له الجمهور وانصلحت بسيفه الأمور ، ودخل الناس في طاعته مهطعين، وشملهم ظل مملكته طائعين ومكرهين ، فاستقر الملك في قراره ،وأقام المجد على ساقه ،وخمد الله نيران اعدائه واهل شقاقه ، واظهر سننه وأحكامه، وأقام باطن الدعوة وظاهرها ،وابان نواهيها وأوامرها"[٣٨].

وبذلك أنجز بنائها في فترة سنة واحدة ،ولاشك في أن ذلك يرجع الى ما توفر من إمكانيات في إتمام عمليه البناء بالقياس الى بناء المهدية في زمن الخليفة الأول المهدي[٣٩] ،وأقام المنصور في مدينته التي ابتناها وهو في ظاهر عزه وملكه ، قاهراً لأعدائه، حيث خضعت له الأعناق ،ودانت له جميع الآفاق، وأخمد أهل الشقاق والنفاق [٤٠].

كما وضربت السكة باسم الخليفة المنصور بالله في عاصمته الجديدة ، وهذا ما يؤكده لنا الجوذري في كتابه، إذ يذكر أن المنصور بالله أمر الاستاذ جوذر بضرب السكة المنصورية على اسمه ، وقد تم رفع اول السكة للخليفة لرؤيتها فما كان منه الا أن أهدى منها ألف دينار لجوذر وكان حينها لا يزال جوذر بالمهدية ، وكتب اليه رقعة بخطه جاء فيها:" يا جوذر ، صانك الله وسلمك . بعثنا اليك ألف دينار رباعية منصورية مما ضرب على أسمنا ، فاقبضها لنفسك مباركاً لك فيها واحذر ان تردها الى بيت المال ، فأني أعرفك وشحك على أموالنا ، وما من شيء أزكى من مال وضعناه بأيدينا حيث نشاء ابتداء منا ، ولا أعظم بركة على من وصل إليه بطيب أنفسنا ، وإنك عندنا لأهل خير، وما نرضى أن نستكثر هذا البعض من تحت يديك فاعلم ذلك"[٤١].

رابعاً: الدور الأداري للمدينة

حظيت المنصورية باهتمام بالغ الأهمية في عمليه تنظيمها فقد عمل المنصور بالله لتأسيس نظام اداري متكامل لينظم شؤون عاصمته الجديدة، وأصبحت مقراً للمصالح الإدارية المركزية بعد أن كانت المهدية هي مقر للخليفة ، وسرعان ما تطورت المنصورية ، وأصبحت مدينة كبيرة مزدهرة طوال عهد المعز[٤٢].ونقل إليها المعز أسواق القيروان كلها وجميع الصناعات.[٤٣]

وكانت اولى المؤسسات التي تم الاهتمام بها في العاصمة الجديدة هي مؤسسة القضاء ، حيث لا يجوز تولي منصب القضاء الا من توفرت فيه الشروط التي يصح تقليده وينفذ بها حكمه فأن تلك الشروط يجب ان تتحقق في شخص من يتولى القضاء [٤٤] لذلك عين المنصور بالله القاضي النعمان [٤٥] للنظر في القضاء في المنصورية والقيروان وإعمال أفريقيا وامضى حكمه في آفاق الدولة الفاطمية، وكان استقضاه في طرابلس ثم امره بعد ذلك بتولي قضاء المنصورية ، وهذا ما ينقله لنا في كتابه بقوله:" ولمّا استقضاني المنصور باللّه صلوات اللّه عليه على المنصوريّة أمرني بالجلوس للنّظر بين الناس في سقيفة قصره وقال لي :لو اتّسع لي أن أجلسك بين يديّ في مجلس داخل قصري لكان ذلك أعجب إليّ . فإذا كان ذلك لا يمكن فاجلس في سقيفة قصري فإنّه أحقّ موضع أقيمت فيه الحقوق ونفذت فيه الأحكام . فجلست حيث أمرني فيه بالجلوس ، فضاقت الحال لذلك بأكثر الخصوم سيّما بالنساء والضعفاء ومن يتهيّب الدخول من باب قصر أمير المؤمنين (صلى الله عليه) . فتبيّنت ذلك ورفع إليّ أيضا ، فتهيّبت معارضة أمير المؤمنين (صلى الله عليه) فيما رآه وأمر به ، إلى أن خرج المعزّ لدين اللّه (صلى الله عليه) يوما فيما يخرج له فسايرته فقال لي : يا نعمان ، كيف الحال في جلوسك في السقيفة ؟ فتهيّبت أن أقول في ذلك بخلاف ما قاله أمير المؤمنين ، فذكرت قوله وأمسكت. فقال : كيف بالمرأة والضعيف ومن تقتحمه العيون ومزاحمة رجالنا وعبيدنا ؟وكيف بك إن وجب عندك حدّ أو أدب على أحد ؟ فأين يتهيّأ لك

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

أن تقيمه هنالك ؟ لا والله ما هو بموضع يصلح لذلك ! ولأن تكون بارزا للناس ظاهرا يصل إليك الضعيف ويبلغ حاجته لديك ، وتقف المرأة وتبلغ إليك في استتار ويمكنك إقامة ما يجب من الحدود والآداب ، أهيأ وأجمل وأفضل .فقلت : الرأي ما رآه الأمير وفّقه الله وسدّده .وكان ذلك ممّا رأيت أنّ الله عزّ وجلّ فهّمه إيّاه من وجه الصّواب ، وهداه إليه من فصل الخطاب ، وممّا قدّمت ذكره في الباب الذي قبل هذا الباب ثمّ لمّا انصرف خرج إليّ توقيع من المنصور بالله صلوات الله عليه مع مال أمر به لابتناء موضع فسيح أجلس فيه حيث يصل فيه إليّ الناس ويمكنهم ما يريدونه من أمورهم على ما ينبغي عندي . فعلمت أنّ ذلك لأمر أجراه المعزّ لدين الله ... "[٤٦].

واهتمام المنصور في القضاء يصل الى حد تأنيب القاضي النعمان الذي كان يرجع الى الخليفة في كل الأمور ،واتهامه بالتقصير بعمله نتيجة لما بدر منه في عمله فقد أراد له ان يكون شديد في تطبيق أحكامه حفاظاً على مكانته كقاضي الخليفة وان يكون له المرجع في جميع الأحكام حتى يحقق القضاء ما يجب ان يكون عليهما نزاهة واستقلال[٤٧]، وهذا ما ذكره القاضي النعمان نفسه بقوله:" ولمّا استقضاني المنصور بالله صلوات الله عليه وآله على المنصوريّة عارضني بعض الناس في بعض ما أنظر فيه ، فرفعت ذلك إليه صلوات الله عليه في رقعة ، فوقّع إليّ في أسفلها: يا نعمان ، ما أقمت نفسك بحيث أقمناك ولا كنت في الضبط عندما رجوناك ، بل نرى معلّم كتاب الله أهيب منك ! فلمّا قرأت توقيعه ذلك أسقطت في يدي وأظلمت الدنيا عليّ ، ولم أكن أرى إلّا أنّي قد تجاوزت في الشدّة وتعدّيت في التهيّب والغلظة"[٤٨].

والى جانب الاهتمام بالقضاء تم الاهتمام بديوان الرسائل الذي استمر يؤدي وظيفته طوال العصر الفاطمي ،وكان يطلق عليه (ديوان الرسائل) طيلة الحكم الفاطمي حتى احل محله بما يسمى (ديوان الإنشاء[٤٩])[٥٠] ، ويبدو ان ديوان الرسائل مرتبط بجميع مؤسسات الدولة ، وهذا ما أشار اليه القاضي النعمان بقوله :" خرج توقيعه من غد إلى ديوان الرسائل بأن يكتب لي عهد بالقضاء

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

بمدن المنصوريّة والمهديّة والقيروان وسائر مدن إفريقيّة وأعمالها ، فذكر ذلك وانتشر في الناس ، وعلموا امتثالي ، أيّام كنت بإطرابلس ، أمره (صع) فيما عهده إليّ في عهد القضاء عليها ، من إقامة الحقّ على الشريف والمشروف ، والعدل بين القويّ والضعيف "[٥١].

ويبدو ان بعض الرجال الذين كانوا يتولون مهمة نقل الكتب بين المهدية والمنصورية قد كانوا يميلون الى بعض أهل القصرين ويطلعوهم على محتواها، كذلك كانت هناك مراسلات بين أهل القصرين لا يتم اطلاع الخليفة عليها ، لذلك وجه الخليفة المعز الاستاذ جوذر بمنع ذلك ، وان يتم اطلاعه على الكتب المرسلة بين الطرفين قبل ان تصل اليهم وبصورة سرية لا يعلمها الا الاستاذ جوذر ، وهذا ما نقله الجوذري حين يذكر الرقعة التي فيها :" يا جوذر كنت خاطبتنا في أمر كتب القصرين... فأمرناك بترك العرض لهم وإذ الله قد أجرى على فكرك ما فيه التوفيق ، ونحن ما نظن بأحد سوءاً من الأباعد فكيف من الأقارب ، وقد ظهر لنا بعض ما نكرهه ، فاعمل على حمل ما يكون من كتاب وغيره إلينا ، ولا تنفذه حتى تعرفنا به من حيث لا يشعر بك أحد البتة إن شاء الله"[٥٢] .

وقد بقيت المنصورية عاصمة للفاطميين في المغرب حتى كان منتصف شهر رمضان المعظم سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م عندما وصلت البشارة إلى المعز بفتح الديار المصرية ، ودخول عساكره إليها ، وكانت كتب جوهر ترد إلى المعز باستدعائه إلى مصر وتحثه كل وقت على ذلك ثم سير إليه يخبره بانتظام الأحوال بمصر والشام والحجاز، وإقامة الدعوة له بهذه المواضع ،فشعر المعز بسرور عظيم ، وخرج المعز متوجها بأموال كثيرة ورجال عظيمة ،وكان خروجه من المنصورية دار ملكه يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م [٥٣].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله الطيبين، بعد نهايتنا لهذا البحث نسأل الله ان نكون قد وفقنا فيه ، وقد توصلنا الى النتائج التالية وهي :

١- بناء العاصمة المنصورية يعد أول أعمال المنصور الحضارية بعد أن كان منشغلاً بأعماله الحربية ضد الخارجين على السلطة الفاطمية ، حيث اتخذ مدينة ملكية جديدة تعبر عن طبيعة عهده ، الذي يمثل عناصر القوة المتمثلة بالنصر والفتح ، وتحقيق الاستقرار والأمن في ارجاء دولته.

٢- بناء العاصمة الجديدة وطريقة عمارتها أنما يدل على تأثر الفاطميون بالحضارات الاخرى ،إذ تأثروا بالهندسة المعمارية لحضارة ما بين النهرين وبالهندسة المعمارية الفارسية ، وذلك يدل على أن الفاطميين حاولوا الاستفادة من الحضارات الشرقية القديمة وهو دليل واضح على مقدار الوعي والانفتاح الذي تمتعوا به.

٣- بقيت المنصورية عاصمة الفاطميين في المغرب حتى بعد وفاة بانيها الخليفة المنصور ، واعتلاء الخليفة المعز لدين الله ، إذ أنه لم يتخذ عاصمة جديدة الى حين انتقاله الى مصر سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م.

هوامش البحث:

(١) رقادة : بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أيام ، وكان دورها أربعة وعشرين أنف ذراع وأربعين ذراعا ، وأكثرها بساتين ، ولم يكن بإفريقية أطيب هواء ولا أعدل نسيما وأرق تربة منها. بناها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب وانتقل إليها من مدينة القصر القديم وبنى بها قصورا عجيبة وجامعا وعمرت الأسواق والحمامات والفنادق فلم تزل بعد ذلك دار ملك لبني الأغلب إلى أن هرب عنها زيادة الله من أبى عبد الله الشيعي وسكنها عبيد الله لى أن انتقل إلى المهدية سنة ٣٠٨ ، وكان ابتداء تأسيس إبراهيم بن أحمد لها سنة ٢٦٣ ، فلما انتقل عنها عبيد الله إلى المهدية دخلها الوهن وانتقل عنها ساكنوها . ياقوت الحموي ، معجم البلدان :ج٣/ ص٥٥؛الحميري، الروض المعطار ،ص٢٧١.

(٢) المهدية : وهي على ساحل بحر الروم داخلة فيه ككف على زند ، عليها سور عال محكم كأعظم ما يكون يمشي عليه فارسان ، عليها باب من حديد مصمت مصراع واحد تأنق المهدي في عمله ، و في سنة ٣٠٠ خرج المهدي بنفسه إلى تونس يرتاد لنفسه موضعا يبني فيه مدينة خوفا من خارج يخرج عليه ، وأراد موضعا حصينا حتى ظفر بموضع المهدية وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند ، فبناها وجعلها دار مملكته وحصنها بالسور المحكم والأبواب الحديد المصمت وجعل في كل مصراع من الأبواب مائة قنطار ، ولها بابان بأربعة مصاريع لكل باب منها دهليز يسع خمسمائة فارس ،وكان شروعه في ذلك سنة ٣٠٣هـ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان :ج٥/ ص ٢٢٩ –٢٣٠.

(٣) ابى يزيد مخلد بن كيداد البربري الزناتي من بنى يفرن الأباضي ، خرج في افريقيا سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م وقويت شوكته وكثر اتباعه ،و كان بينه وبين جيوش الخليفة القائم الفاطمي من الوقائع والحروب ومن قتل إلى أن غلب على أكثر أفريقية ، وحصاره أبا القاسم القائم بأمر الله في المهدية إلى أن مات بها .فتولى مسؤولية التخلص منه الخليفة المنصور بعد وفاة والده ، فحدثت معارك بين الطرفين فكان بينهم من الحروب الكثير ، وانفضاض الجيوش عن أبي يزيد ومحاصرته ، إلى أن قتل أبو يزيد لخمس ليال بقين من المحرم سنة ٣٣٦ ، وذكر إن عدد من قتل في تلك الحروب نحو من أربعمائة ألف ٠ينظر: المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢٨٩؛المقريزي، اتعاظ الحنفا :ج١/ص١٠٩ وما بعدها، الدشراوي ،الخلافة الفاطمية بالمغرب٢٤٥وما بعدها٠

(٤) ياقوت الحموي،ج٣،ص٣٩١؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٥٤

(٥) البكري ، الممالك والمسالك ، ج٢، ص٦٧٦ ؛ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٣٩١ ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٦٠،–٦١ ابن عذاري ، البيان المغرب، ج١، ص٢١٩

(٦) القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ،ص٨؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ج١،ص٢٣٥؛ ج٥،ص٢٢٦–٢٢٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١، ص٢٥٦، الدعمي، محسن، مدينة المنصورية في العصر الفاطمي,ص٣٤٨

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

(٧) البكري ، المالك والمسالك ، ج٢،ص٦٧٦ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٣٩١ ؛ ناجي ، دراسات في تاريخ المدن الإسلامية ،٢٧٠ .

(٨) الحسن بن رشيق أبو علي الأزدي المعروف بالقيرواني نزيل صقلية ولد سنة ٣٩٠ هـأ حد البلغاء الأفاضل الشعراء وهو أديب ، باحث . كان أبوه من موالي الأزد . ولد في المسيلة (بالمغرب) وتعلم الصياغة ، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر ، فرحل إلى القيروان سنة ٤٠٦ ومدح ملكها ، واشتهر فيها ، وله الكثير من التصانيف. الصفدي ، الوافي بالوفيات، ج ١٢،ص٩؛ اسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين ،ج١،ص٢٧٦؛ الزركلي، الاعلام ،ج٢،ص١٩١

(٩) الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٥٤

(١٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣،ص٣٩١-٣٩٢

(١١) القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص٣٢٤-٣٢٥

(١٢) مذاما الصقلبي وهو احد رجال المنصور حيث استخلفه على على القيروان عندما ذهب لمطاردة أبي يزيد في المسيلة وغيرها من المدن البعيدة . ابن حماد ، اخبار ملوك بني عبيد ، ص٦٢

(١٣) عبد الحميد،تاريخ المغرب العربي ، ج٣، ص٢٠٢، الدعمي ، محسن ،مدينة المنصورية في العصر الفاطمي,ص٣٤٨

(١٤) الصالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في المغرب ، ص٣٠٠

(١٥) القائم والمنصور الفاطميان ، ص١٠٨

(١٦) البكري ، الممالك والمسالك ، ج٢، ص٦٧٦ ؛ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٣٩١ ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٦٠،-٦١ ابن عذاري ، ج١، ص٢١٩

(١٧) ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٦٠

(١٨) البكري ، المسالك والممالك ، ج٢، ص٦٧٦ ، ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٦١ ، عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، ص٨٣

(١٩) الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٥٤

(٢٠) الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٥٠

(٢١) الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،ج١،ص٢٨٤

(٢٢) أبن حماد ، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٦١ ؛ عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ج٣، ص٢٠٣

(٢٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج٥،ص٢٣١

(٢٤) تامر ، القائم والمنصور الفاطميان ، ص١٠٨

(٢٥) سيرة الاستاذ جوذر ، ص٨٥.

(٢٦) سيرة الاستاذ جوذر ، ص٨٥-٨٦.

(٢٧) الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في المغرب العربي الإسلامي ، ص٣٠١-٣٠٢

(٢٨) الايوان: كلمه فارسيه معربه بمعنى القصر ، انظر ابن حماد ، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٦١، هامش ٢.

(٢٩) الخورنق : إنما هو من الخورنقاه بضم الخاء وسكون الواو وفتح الراء وسكون النون والقاف يعني موضع الأكل والشرب بالفارسية فعربته العرب فقالت الخورنق ردته إلى وزن السفرجل ، وقيل هو اسم قصر بالعراق بناه النعمان الأكبر وهو فارسي معرب . الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٣، هامش ص ١١٤.

(٣٠) ابن حماد ، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٦١ ؛ الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في المغرب العربي الإسلامي ، ص٣٠٢

(٣١) القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص٥٥٢

(٣٢) عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ج٣، ص٢٠٣

(٣٣) الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في المغرب العربي الإسلامي ، ص٣٠٣

(٣٤) تاريخ الخلفاء ، ص٤٦٩

(٣٥) أبن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٦٥، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج١،ص ٢٢٠ ؛الداعي أدريس ، تاريخ الخلفاء ، ص٤٦٩

(٣٦) ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٦٦ .

(٣٧) البكري ، المسالك والممالك ، ج٢،ص٦٧٦ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣، ص٣٩١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج١، ص ٢١٩-٢٢٠؛ الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في المغرب الإسلامي ، ص٣٠٠ ؛ عبد الوهاب ، خلاصه تاريخ تونس ، ص ٨٣

(٣٨) الداعي أدريس ، تاريخ الخلفاء ، ص٤٩٠

(٣٩) الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في المغرب الإسلامي ، ص٣٠٠

(٤٠) الداعي أدريس ، تاريخ الخلفاء ، ص٤٧١

(٤١) سيرة الاستاذ جوذر ، ص٦١.

(٤٢) الدشراوي ،الخلافة الفاطمية في المغرب ، ص٤٧٩

(٤٣) الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٥٠

(٤٤) للمزيد انظر: الماوردي الإحكام السلطانية ، ص٥١ ؛ مشرفة، نظم الحكم في مصر في عهد الفاطميين ، ص٣٣٢

(٤٥) ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون، ولد سنة(٢٥٦هـ/٨٦٩) وقيل في العشرة الاخيرة من القرن الثالث الهجري ، ويرى آخرون ان سنة ولادته غير معلومة ،وقد دخل في خدمة عبد الله المهدي في سن يتراوح بين (٢٣-٣٠) سنة، وتوفي سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) ، ويعد من أركان الدعوة للفاطميين ومذهبهم بمصر. كان واسع العلم بالفقه والقرآن والأدب والتاريخ. من أهل القيروان، مولدا ومنشأ. تفقه بمذهب المالكية، وتحول إلى مذهب الباطنية عاصر المهدي والقائم والمنصور والمعز وخدمهم. وقدم مع المعز إلى مصر، وهو كبير قضاته. ينظر: الكندي ،الولاة والقضاة ٥٨٦؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٦، ص٥٤٧ ؛ الزركلي ، ج٨، ص٤١ .

(٤٦) المجالس والمسايرات،ص٦٩؛ نفس الخبر ذكره الداعي أدريس ، تاريخ الخلفاء ، ص٤٩٠-٤٩٢ .

(٤٧) عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ص٢٠٦

(٤٨) المجالس والمسايرات، ص ٧٥.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ - المجلد ٤٩ - حزيران لسنة ٢٠٢٤

(٤٩) ديوان الانشاء : هو ديوان الرسائل وعرف في مصر أيام الفاطميين باسم ديوان الانشاء ومتولي امر هذا الديوان يسمى بكاتب الدست ومهمة هذا الديوان كتابة كل ما تحتاج اليه امور الدولة من عهود ومراسيم وتولية وعزل ورسائل الى ولاة الدولة الفاطمية والاوامر التي تصدر من دار الخلافة في القاهرة للمزيد ينظر : قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ٣٧ ؛الخوارزمي، مفاتيح العلوم ٩٦-٩٧ .

(٥٠) العيدروس ،حضارة دول المغرب العربي في عصر الدولة الفاطمية ، ص٦٠

(٥١) المجالس والمسايرات، ص٣٤٨؛الداعي ادريس ، تاريخ الخلفاء ، ص٤٩٣

(٥٢) سيرة الاستاذ جوذر ، ص٩٩-١٠٠.

(٥٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان،ج٥،ص٢٢٦-٢٢٧

مصادر البحث

* الادريسي : محمد بن عبدالله(ت٥٦٠هـ/ ١١٦٥م)

–نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ط١، بيروت ،١٤٠٩هـ.

*البكري: عبدالله بن عبدالعزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)

– المسالك والممالك ، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٢م.

الجوذري: ابو علي العزيزي (ق الرابع الهجري /التاسع الميلادي)

–سيرة الاستاذ جوذر ، تحقيق : محمد كامل ومحمد عبد الهادي ، دار الفكر العربي ، مصر .

* ابن حماد : ابو عبدالله محمد بن علي الصنهاجي (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م)

– اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ،تح: التهاني نقرة وعبدالحليم عويس ، القاهرة .

*الحميري : محمد بن عبدالله (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)

–الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق: احسان عباس ، ط٢،بيروت،١٩٨٠.

* ابن خلكان : أبو بكر العباس شمس الدين احمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق : إحسان عباس ، ب٠ط ، لبنان .

* الخوارزمي: ابو عبدالله محمد بن احمد (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)

– مفاتيح العلوم ، تحقيق: ابراهيم الايباري ،ط٢، بيروت، ١٩٨٩م.

*الداعي ادريس : عماد الدين (ت ٨٧٢هـ/١٤٨٨م)

–تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الإخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت–لبنان.

* الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤ م)

– سير اعلام النبلاء ،تحقيق : إبراهيم الزيبق ، ط٩، بيروت، ١٤١٣ – ١٩٩٣ م.

* الصفدي: صلاح الدين ابو الصفاء خليل ايبك(٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

– الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط ، بيروت، ٢٠٠٠م.

* ابن عذاري : ابي العباس احمد بن محمد(ت٧١٢هـ/ ١٣١٨م)

–البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد ومحمود بشار ، ط١، تونس ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

* القاضي النعمان: ابو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون(ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)

–المجالس والمسايرات، تحقيق :الحبيب الفقي واخرون ، ط١، بيروت ،١٩٩٦م.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

* قدامة بن جعفر: ابو الفرج الكاتب (ت٣٧٤هـ/ ٩٨٤م)

– الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق : محمد حسين ، دار الرشيد للنشر، بغداد ، ١٩٨١م.

*ابن كثير : أبي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ /١٣٧٢م)

– البداية والنهاية ،تحقيق :علي شيري ، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.

* الكندي : ابو عمر محمد بن يوسف(ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)

–الولاة والقضاة ، تهذيب: رفن كست، بيروت، ١٩٠٨م.

*الماوردي: علي بن محمد (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)

–الاحكام السلطانية ، دار الحديث –القاهرة.

*المسعودي: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)

–التنبيه والاشراف، بيروت.

*المقريزي: تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)

– اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الحنفا، تح ج١:جمال الدين شيال ، ط٢ ،مصر ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

* ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

– معجم البلدان ، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩ م .

المراجع الحديثة

*البغدادي : اسماعيل باشا

–هدية العارفين في اسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، بيروت.

*تامر :عارف

– القائم والمنصور الفاطميان ، ط١، دار الافاق الجديدة –مصر ، ١٩٨٢م.

* الدشراوي : فرحات

– الخلافة الفاطمية بالمغرب ، ترجمة: حمادي الساحلي ، ط١ ، بيروت ،١٩٩٤م.

* الزبيدي: محب الدين الحسيني الواسطي

– تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : علي شيري، ١٩٩٤م.

*صالح: مرمول محمد

– السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي، الجزائر، ١٩٨٣.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

* عبد الحميد ، سعد زغلول

– تاريخ المغرب العربي ، الناشر :منشأة المعارف بالاسكندرية، ١٩٩٠م.

* الزركلي: خير الدين

– الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ،ط٥،بيروت، ١٩٨٠م.

* عبدالوهاب: حسن حسيني

–خلاصة تاريخ تونس ،ط٣، دار الكتب الشرقية.

*العيدروس: محمد حسن

–حضارة دولة المغرب العربي في عصر الدولة الفاطمية ، دار الكتاب الحديث، ٢٠١١م.

* مشرفة: عطية مصطفى

– نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين ،ط١، مصر.

*ناجي: عبدالجبار

–دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ، ط١، شركة المطبوعات والنشر –مصر.

الرسائل والأطاريح الجامعية

*الدعمي ومحسن :غفران محمد وصلاح الدين

–مدينة المنصورية في العصر الفاطمي,بحث منشور في مجلة ابحاث ميسان ،المجلد الثالث عشر ، العدد السادس والعشرون، السنة ٢٠١٧ .